

## تاريخ الفلسفة فلسفة اللغة 80 بقلم الدكتور آرثر هولمز من كلية ويتون

منذ ظهور الوضعية وفلسفتها اللغوية المثالية، وكذلك تطور فلسفة اللغة العادية في أربعينيات وخمسينيات القرن العشرين، والتي كنا نتحدث عنها في سياق فلسفة الدين والأخلاق، شهدت فلسفة اللغة تطورات حديثة شملت الميتافيزيقا والأنطولوجيا. ولا يُعدّ هذا مفاجئاً إذا ما أدركنا أن مقولات الفكر، ومقولات الوجود عند أرسطو وهيغل، وبالتالي فإن المقولات المنطقية الظاهرة في اللغة ترتبط بالأنطولوجيا

وبالأخص عندما نتحدث عن أقول الوضعية المنطقية وكيف أدى منظورها الاختزالي للغة إلى استبعاد الميتافيزيقا، فمن المفهوم أن تفتح وجهات النظر الجديدة للغة المجال أمام الميتافيزيقا. وإذا أردت الاطلاع على لمحة من هذا، فإن أحد المصادر المفيدة هو كتاب جون باسمر الذي نُشر، على ما أظن، قبل ست سنوات. كتاب جون باسمر بعنوان "الفلاسفة المعاصرون" ليس "الفلسفة المعاصرة"، بل "الفلاسفة المعاصرون"، والذي ستجد فيه ملخصاً مفيداً لهذا النوع من المواضيع، مع أنه ليس شاملاً بأي حال من الأحوال.

الآن، أريد أن أقسم ما سأتناوله هنا إلى ثلاثة مواضيع، تبدو جميعها وكأنها مواضيع في الميتافيزيقا تتعلق بالوجود. وهي كذلك بالفعل. الموضوع الأول يتعلق بالكيانات المنطقية

إضافةً إلى الكيانات المادية والحالات الذهنية، هل يوجد نوع ثالث من الأشياء، وهي الأشياء المنطقية، من نوع ثابت لا يتغير؟ يشبه هذا السؤال سؤال: هل توجد كليات حقيقية؟ إلا أنه يُطرح أحياناً بمصطلحات الجواهر، وأحياناً أخرى بمصطلحات الأشياء المنطقية، أو الكيانات المنطقية. كيف ينشأ هذا النوع من الأسئلة في سياق اللغة؟ علينا أن نعود إلى فريجه، الذي كان له تأثير كبير في مطلع هذا القرن. توفي عام 1925.

ميّز فريجه بين المعنى والمرجع في اللغة. بمعنى آخر، يمكن أن تكون الجملة ذات معنى ومرجع في آن واحد والمرجع، بطبيعة الحال، هو ما تتحدث عنه الجملة

، إذا كان البيان يتعلق ببيانات حسية، فسيكون متعلقاً بالبيانات الحسية. وإذا كان البيان يتعلق بأشياء مادية فسيكون متعلقاً بالأشياء المادية. وإذا كان البيان يتعلق بالله، فسيكون المرجع هو الله، أي مرجعاً بهذا المعنى.

، لكن معنى كلمة "معنى"، أي معنى الجملة، يرتبط بمعناها المنطقي. بمعنى آخر، الجملة تمثل قضية والقضية ليست مجرد جملة أو عبارة، بل هي حالة موضوعية يمكن التعبير عنها بجمل متنوعة، بعضها بالإنجليزية، وبعضها بالفرنسية، وبعضها بالألمانية، وبعضها بالهولندية، وبعضها باليابانية، وهكذا. إذن القضية هي الحالة المنطقية، وهي معنى الجملة

وبالطبع، يمكن أن يشير هذا الوضع المنطقي إلى أمور مثل البيانات الحسية، والأشياء المادية، وما إلى ذلك. لذا يصبح هذا التمييز مهماً. قد يكون لديك اسم علم، على سبيل المثال، قد يكون معناه ودلالته في غاية الأهمية.

اسمك مشتق من اسم شخص ما، وللکلمة دلالات متعددة، وفي الوقت نفسه، يجب التمييز بين معنى الاسم الشخصي ودلالته. فهو يشير إليك كفرد مُنح هذا الاسم الشخصي. الاسم، معناه، دلالته على الفرد

أو ربما تفكر في مصطلح مجرد آخر، مصطلح مجرد أو مصطلح عام، حيث يرتبط المعنى بالمفهوم، سواء كان مفهوماً كلياً أو عامًا. حسناً؟ والمقصود هنا مجموعة كاملة من الأفراد، فئة كاملة من الأفراد. ربما يكون المقصود هنا مفاهيم كلية حقيقية.

إذن ، فلنميّز بين المعنى والدلالة. أحياناً نميّر بينهما بالقول إن المعنى هو المقصود، والدلالة هي المعنى، الامتدادي. نعم، نستخدم مصطلح الامتداد في المنطق، أليس كذلك؟ امتداد الاسم، كما يُستخدم في الجملة مثل "كل الرجال فانون"، امتداد شامل، و"بعض الرجال"، امتداد خاص، يتعلق بالدلالة.

يرتبط القصد بالمعنى. لكن كارل بوبر يميز الآن ليس فقط بين هذين العالمين، عالم المعنى وعالم المرجع، بل أيضاً بين عالم ثالث. أي أنه بالإضافة إلى الأشياء المادية التي يمكن أن تشير إليها الجملة، هناك شيئان آخران يدخلان في هذا السياق على المستوى القصدي.

أولاً وقبل كل شيء ، هناك حالات ذهنية. ما يدور في ذهنك، الحالة الذهنية، التي يمكن وصفها تجريبياً من حيث أفكار التأمل، تلك الظروف الذاتية. ثم يميز بين الموضوعات المنطقية لتلك الحالة الذهنية.

لذا، قد تفكر من منظور حالة موضوعية منطقية ، حالة تُدرك لا تُرى، حتى وإن كان ما تفكر فيه ضمن تلك الحالة المنطقية يشير إلى شيء آخر. والمثال الكلاسيكي على ذلك هو الحديث عن الكليات. فحينها، ترتبط حالتك الذهنية بكلمات معينة تُعبّر عن الموضوع المنطقي، أي الكلي، الجوهر الكلي الحقيقي، حالة موضوعية ثابتة لا تتغير.

أ هو أ دائماً، وهكذا دواليك. الكائن المنطقي يختلف عن الكائن المادي. لذا حتى لو أخذنا اللغة والحالات... الذهنية التي نمتلكها ونختبرها، فإن الكائن المنطقي والكائن المادي

الكائن المنطقي هو الطبيعة الجوهرية للإنسانية. أما الكائن المادي فهو البشر. لذا، تأتي الكائنات المنطقية، أو الكيانات المنطقية، في هذا السياق.

وكما تتوقع ، فإن مفهوم الكائنات المنطقية الذي يؤديه فريجه وبوبر سيواجه تحدياً من أي شخص ذي نزعة تجريبية قوية. وهذا ما حدث تحديداً مع دبليو في أوكوين ، الذي طعن فيه في مقال له بعنوان "المنطق بلا أنطولوجيا".

يرى، كما ترى، أن المنطق لا يحتاج إلى ذلك الموضوع القصدي. وأن اللغة لا تحتاج إلى ذلك الموضوع، القصدي. وأن الحالة الموضوعية المنطقية ، التي لا يمكن أن تكون على غير هذا النحو، لا تحتاج إلى جواهر. ولا تحتاج إلى كليات.

كل ما تحتاجه اللغة هو ببساطة المسندات والمؤهلات. المسندات والمؤهلات. المسندات التي لها مرجع تجريبي والمؤهلات التي لها وظائف شكلية.

إذا أردنا أن نقول ببساطة إن بعض الرجال فانون، فإننا حين نقول "بعض الرجال" نشير إلى كيانات تجريبية . معينة، كيانات مادية. فالغناء صفة تجريبية، تُنسب إلى بعض الرجال. وكلمة "بعض" مجرد وصف منطقي.

كل ما نحتاجه، كما ترى، هو هذا النوع من الأشياء. وهو يُسارع إلى الإشارة إلى أنه يُمكننا بالتالي التعبير عن بحيث تكون x هذه الأشياء، هذه العبارات، بعبارات منطقية باستخدام رمزية اللغة المثالية. يوجد بعض القيم فانية x بشرية و x.

بعض الرجال فانون .حسناً .وإذا أردت أن تجعل الأمر برمته صحيحاً، فاجعله ببساطة صحيحاً بالنسبة لجميع من هم "س"، فإذا كان "س" إنساناً، فهو فانٍ

لذا يمكنك ببساطة استخدام المحددات المنطقية التي نستخدمها في قواعد المنطق الصوري والمصطلحات، ذات المرجعية التجريبية. الآن، ما يحاول كوين قوله، وهو يوضحه جلياً، هو أن المعاني وظائف اللغة وليست حالات ذهنية. السؤال، عندما يُنطق شيء ما، ليس ما الذي تفكر فيه، بل إلى ماذا تشير؟ عمّ تتحدث، كما ترى؟ إنه يعتبر اللغة، أي أنه يعتبرها سلوكاً لفظياً، نوعاً من السلوك الجسدي الظاهر

لا يهتم بالفكر إلا بقدر ما يُعبّر عنه برمزية اللغة. الفكر ليس نشاطاً نفسياً، بل هو سلوك لفظي فريد من نوعه

ليس عليك أن تنطقها بصوت عالٍ. أنت تصوغها في ذهنك. الرموز اللغوية، السلوك اللغوي

لذا، فإن المصطلحات العامة مثل الاستدارة والإنسانية ليست أسماءً لجواهر أو كائنات منطقية، بل هي ببساطة مصطلحات تشير إلى أي عنصر من مجموعة كاملة من الجزئيات المتشابهة. إنه اسمي متشدد

يستخدم مصطلحاً فصيحاً هو "المصطلحات التركيبية". هناك بعض المصطلحات التركيبية، تلك الكلمات العالمية، ذات الدلالة المنطقية العالمية، مثل "الاستدارة" و"الإنسانية". كانت تُسمى سابقاً مصطلحات عالمية.

- هو ببساطة يريد أن يقول إننا نستخدم هذه المصطلحات للحديث عن جميع أفراد فئة معينة معاً. مُنْشَع كُتِب - معد، ببساطة. ولكن ما هي مجموعة الأشياء المتشابهة، إلا تصنيفاً نُجرّبه بلغتنا؟ اللغة هي التي نُصنّف الأشياء المتشابهة، بحيث نُنظّم عوالمنا بواسطة اللغة التي نستخدمها

أو فئات الأشياء، جوهرًا حقيقياً في كائنات منطقية مشتركة. إنها مجرد أوجه تشابه تجريبية نجمعها معاً في هذه المصطلحات التركيبية. لذا، فيما يتعلق بالعملة المعدنية، لا توجد كليات حقيقية

والآن، دعوني أضيف إلى نقاش الكيانات المنطقية اسم نيكولاس وولترستورف، الذي دخل هذا النقاش بكتابه، حول الكليات "الذي نُشر في أواخر السبعينيات من قبل مطبعة جامعة شيكاغو. ما قدمه وولترستورف" وكتابه تحديداً، حظي بتقييماتٍ عند صدوره، ووصف بأنه ربما أفضل كتاب في نظرية الكليات في القرن العشرين، وقد رسّخ بلا شك مكانته المهنية في هذا المجال التحليلي. لكن ما قدمه هو تناوله للكليات باعتبارها احتمالات

الاحتمالات. أي الاحتمالات المنطقية الثابتة التي هي حقيقية موضوعياً بمعنى أنها لا يمكن أن تكون شيئاً آخر غير ما هي عليه. إنها مقيدة بقانون الهوية

ما يفعله هو القول بأنه بالإضافة إلى الكيانات المادية الفعلية، وربما أي كيان مادي آخر، فإن هذا العالم وأي عالم ممكن، بالإضافة إلى الكيانات المادية الفعلية، لا يوجد فيه إلا أنواع معينة من الأشياء الممكنة منطقياً فالقط لا يمكن أن يكون شيئاً آخر غير قط. وهذا يعني ضمناً وجود جوهر منطقي لا يمكن أن يكون شيئاً آخر غير ما هو عليه

لذا فهو يحاول إعادة طرح نقاش الكليات كمجالٍ من الاحتمالات. قلت له ذات مرة أثناء مناقشة هذا الأمر أنت هل تقصد، بكلمة "احتمالات"، أن هذه احتمالات منطقية موضوعية؟ أي أن هناك احتمالات منطقية

موضوعية بحيث لا يكون كل شيء ممكنًا، ولكن هناك نطاقات معينة من الأشياء ممكنة، لم يتحقق منها في هذا العالم إلا بعضها. وقد قال ذلك تحديدًا

، ما هو منطلقه في هذا الشأن؟ لقد كتب أطروحته للدكتوراه عن وايتهيد، وعن ميتافيزيقا وايتهيد. وما يفعله كما ترى، هو الانطلاق من بعض مصطلحات وايتهيد حيث تُعتبر هذه الاحتمالات المنطقية كائنات أبدية متميزة عن الكيانات الفعلية لعالم الزمكان. هو ليس من أتباع وايتهيد، لكنه يتبنى مفهوم الكليات بمصطلحات وايتهيدية نظراً للتغيير الجذري الذي يُحدثه هذا المفهوم عن الأفلاطونية

كما ترى، في فلسفة أفلاطون، كانت الأشياء الأكثر واقعية هي الكليات، أما الجزئيات، بتعبير أفلاطوني مجازي، فهي ظلال. إنها صور لما هو موجود بالفعل. أما ما يقوله والترسدورف فهو أن الجزئيات هي الكيانات الفعلية، الأشياء الحقيقية الموجودة بشكل مستقل بهذا المعنى

ليست الكليات كيانات موضوعية بالمعنى المتعارف عليه عند أفلاطون، بل هي احتمالات منطقية موضوعية. وهذه الكيانات الفعلية تجسد بعض هذه الاحتمالات. كلنا هنا نجسد الاحتمال المنطقي للإنسانية بطرقنا الفردية

إذن، هو يجادل بأن هناك هذه الاحتمالات المنطقية، هذا النطاق من الاحتمالات، التي تُعتبر، وفقاً لهذه المصطلحات، كيانات منطقية وليست كيانات مادية. والآن، دعوني أضيف ملاحظة مفادها أن هذا يربط في نظرية والترسدورف الجمالية. قبل بضع سنوات من كتابه عن الكليات، صدر كتاب عن النظرية الجمالية أطلق عليه، كما أتذكر، اسم "أعمال وعوالم الفن"، والذي كان يحاول فيه تطوير الأنطولوجيا التي تقوم عليها وجهة النظر القائلة بوجود قيم جمالية موضوعية من نوع عالمي

إذا كنتم قد شاهدتم كتابه المختصر والأكثر شيوعاً بعنوان "الفن كفعل"، والذي يُستخدم في مقرر فلسفة الفنون هنا، فربما تتذكرون أنه يُبرر ذلك بالإشارة إلى وجود ارتباطات متشابهة للأصوات نفسها في مختلف اللغات. لقد رأيتَه يفعل ذلك أثناء محاضراته للطلاب عن علم الجمال من خلال لعب تنس الطاولة. أيّ من الكلمات التالية تُنطق "بينغ"؟ فتاة رقيقة

صبيّ صاخب. ما هو "بينغ"؟ وما هو "بونغ"؟ حسناً، الفتاة الرقيقة هي "بينغ"، والصبي الصاخب هو بونغ. "وسيسرد عشرات الأمثلة كهذه لتوضيح الفكرة"

ترتبط الأصوات المتشابهة بعلاقات مماثلة. ويؤكد ادعائه بأن هذا الأمر عابر للثقافات من خلال الدراسات التي تناولت هذا الموضوع. ويشير إلى وجود أساس موضوعي لبعض الارتباطات والخصائص الجمالية

عندما قرأت كتابه عن الكليات، سألته، وكان ذلك في حديثٍ دار بيننا في مطعم كورنرسبوت هنا عند تقاطع شارعي ويسلي وهيل، خلال إفطارنا، قلتُ له: أخبرني الآن، إن نظريتك الجمالية مرتبطةً بنظريتك عن الكليات، أي نظرية الإمكانات المنطقية تحديداً. إذن، أحد استخداماته لهذه النظرية، كما ترى، هو في نظريته الجمالية. واستخدام آخر له في مذهبه عن الخلق، كما ترى

من بين هذا النطاق الواسع من الاحتمالات المنطقية لأي عالم ممكن، يختار الله بحرية تلك التي يرغب في تحقيقها. وهكذا دواليك. وهو يُفصل ذلك في كتابه عن الكليات

إذن، ما لدينا هنا هو نقاش حول الكيانات المنطقية، والذي يفتح المجال لمناقشة الكليات والجواهر الحقيقية. ضع هذا في اعتبارك. أما القضية الثانية التي تبرز في سياق فلسفة اللغة فهي قضية الواقعية واللاواقعية التي أشرنا إليها في نظرية المعرفة

ونقطة البداية التي نحتاجها هنا هي أعمال عالم اللغويات البنيوي الفرنسي. تجدر الإشارة إلى مصطلح، البنيوية، فهو يُستخدم في الأنثروبولوجيا وعلم النفس واللغويات. في علم النفس، يمكن القول إن بياحيه عالم النفس الفرنسي السويسري، يرى مراحل محددة مسبقاً في التطور المعرفي يمر بها العقل البشري في عملية النمو والنضج التدريجية.

يبدو أن الأمر مرتبط بنمو الدماغ. لذا، لديه، إن صح التعبير، بنيةً شبه مسبقة، أو بالأحرى بنيةً مُسبقة التكوين، للتطور المعرفي. وإذا نظرنا إلى تشومسكي، فسنجد أنه يتبنى البنيوية في علم اللغة.

يتناول دي سوسير، بالمثل، موضوع اللغة، لكن من منظور فريد كان له أثر بالغ. فبحسب دي سوسير، تتألف اللغة من كلمات مُخصصة اعتباطياً، تُشكل علامات تُشير إلى أشياء ملموسة. وترتبط هذه المصطلحات المُخصصة اعتباطياً فيما بينها.

الفكرة هي أنك تحصل بالتالي على مجموعة متنوعة من اللغات المختلفة، ليس فقط بسبب اختلاف الكلمات، بل بسبب اختلاف العلاقات بينها. فنحن نبي لغاتنا الخاصة، وبالتالي نبي عوالم تجاربنا ونمنحها المعنى المنظم الذي نعتقد أنه يحمله.

وهكذا، من خلال هيكل لغة العلم على غرار الوضعيين، بنوا عالماً، عالماً منظماً من التجربة الوضعية. لقد وفروا، إن صح التعبير، النظارات اللغوية التي تمكن الوضعيين من رؤية هذا العالم، ورؤيته بهذه الطريقة فقط. لا توجد معانٍ ثابتة، ولا مفاهيم عالمية، ولا كيانات منطقية يمكن الرجوع إليها.

لا يوجد سوى تفاصيل التجربة الحسية مُنظمة بطرق مختلفة بواسطة اللغة التي نستخدمها. الآن، يمكنك أن ترى في ذلك، إن شئت، نزعة كانطية جديدة. إنها ليست كانطية بالمعنى الذي يُشير إلى شبكة كونية شاملة.

ليس الأمر كانطياً بالمعنى الذي يُقصد به الشبكة المفاهيمية، ولكنه كانطي بمعنى وجود شبكة لغوية، شبكة بنية لغوية، نفرضها مسبقاً، إن صح التعبير، على الإحساس الفعلي. ونتيجةً لذلك، فإن طريقة رؤية لغة ما للعالم ستختلف عن طريقة رؤية لغة أخرى له.

، توجد نسبية بين مختلف البنى، ولا يمكن اعتبار أي منها مطابقاً للعالم الحقيقي. وخلاصة القول، أن لغتنا بحكم كونها تُشكل عالم التجربة، تجعلنا نجهل الحقيقة في ذاتها. والنتيجة هي اللاواقعية.

هذا النوع من البنيوية هو الذي شكّل نقطة انطلاق لتطورات فلسفة اللغة والنظرية اللغوية في أوروبا، ضمن، التقاليد الظاهرانية، وفي هذا البلد، ضمن الفلسفة التحليلية. ومن هذا المنطلق تحديداً في أوروبا، برز دريدا المفكر التفكيكي. ما هي التفكيكية؟ هي ببساطة تفكيك ما يقول البنيويون أننا بنيناها.

ما يفعله دريدا، المفكر التفكيكي، كما ترى، هو محاولة تفكيك البنى اللفظية التي يبينها الكاتب ليُظهر أنها لا تُجدي نفعاً تماماً، أو أن هناك لغاتٍ متعددة تعمل بشكلٍ غير متسق. لغتنا هي التي تُهيمن على عالم تجاربنا. وتمنعنا من رؤيته والتحدث عنه بطرقٍ أخرى غير التي قد نراها، ولذا تتسع نطاق النسبية في هذا الصدد. والآن، ذكرت اسم تشومسكي، عالم اللغويات البنيوية.

يختلف تشومسكي عن غيره في أنه أقرب إلى فلسفة كانط، إذ يعتقد بوجود بنية عالمية عميقة مشتركة بين جميع اللغات. بنية عميقة عالمية بالإضافة إلى ما يسميه هو "البنية السطحية"، التي يبدو أن سوسير يتحدث عنها. أما التفكيكي فلا يرى أي بنية عميقة، لذا فكل ما يراه هو بنية سطحية، أشياء بنيناها نحن.

حسناً، أعتقد أنه يمكنك فهم ما يقوله البنيوي إذا استمعت، أجل، إلى بعض أصدقاؤك هنا وهم يتحدثون بلغاتهم الخاصة، والتي تختلف عن لغتك. يتحدث الموسيقي عن لغة الموسيقى. وإذا أنصت جيداً، وأعتقد أن هذا هو التشبيه المناسب، إذا أنصت جيداً للموسيقين، ستلاحظ وجود لغة مختلفة في الموسيقى الكلاسيكية، على سبيل المثال، عن تلك الموجودة في بعض الموسيقى المعاصرة جداً.

قد تقول: لغات مختلفة. وينطبق الأمر نفسه على العلوم، فلكلّ منها لغته الخاصة، سواء في العلوم الأرسطية أو النيوتونية، وهكذا. وقد تناول نيلسون غودمان هذا النوع من التباين في التراث التحليلي.

نيلسون غودمان، وهو اسمي بالفعل على نهج كواين، يتبنى فكرة هيكلية عوالم تجاربنا ضمن فلسفة العلم. لذا، فالعلم ببساطة يتعامل مع البنى اللغوية. والنظرية العلمية ليست سوى لغة.

هذا ليس بالأمر الجديد. لقد سمعنا إرنست ماركس يقول ذلك. عندما قال ماركس إن النظرية العلمية ليست سوى طريقة اقتصادية لوصف العلاقات بين البيانات الحسية، طريقة اقتصادية.

حسناً، هناك طرق اقتصادية متعددة للقيام بذلك. لذا، يمكن أن توجد لغات علمية مختلفة ونظريات علمية بديلة. ستري ذلك بنفسك.

، وهذه اللغات العلمية البديلة غير قابلة للترجمة المتبادلة. إنها غير قابلة للترجمة المتبادلة. أو، بتعبير أدق، إنها غير قابلة للمقارنة.

، لا يمكنك قياس إحداهما بالأخرى. إنهما لغتان لا يمكن مقارنتهما. ومع ذلك فهما متساويتان في الصواب ومتساويتان في الجدوى.

هناك بعض التأثير هنا من توماس كون وهيكليته للثورات العلمية. ستلاحظ ذلك. كون، الذي أدرك أنه مع تحولات النموذج، نحصل، كما يقول غودمان، على لغة جديدة، وطريقة جديدة لتنظيم الأمور.

حسناً، تعود هذه اللغات العلمية البديلة إلى إمكانية ربط الصفات الحسية بطرق مختلفة. هل تعرف تلك الألغاز التي تتطلب تتبع النقاط أو الأرقام، حيث ترسم الأرقام من 1 إلى 103 لتكوين صورة حيوانية؟ يبدو الأمر كما لو أن العلم يفعل ذلك، إلا أن الأرقام غير مُعطاة.

وهكذا يمكنك ربطها بطرق مختلفة ومتنوعة لتكوين صورة شاملة. طرق بديلة لهيكلتها. بحيث تكون نظرياتنا ومفاهيمنا العامة في العلوم رموزاً لا أوصافاً.

إنها رموز وليست رموزاً فنية. وقد كتب نيلسون غودمان في النظرية الجمالية، حيث يرى العمل الفني كلغة إبداعية تُنظّم أشياء معينة.

يتشابه عالما الفن والعلم في طريقة نشأتهما. حسناً، تقول إن النتيجة ستكون أنه سيكون نسبياً وظاهرياً. نعم، هذا صحيح.

لديه نظرة ظاهراتية للعلم. في الحقيقة، لا يوجد شيء اسمه نظرية صحيحة. يمكنك قبول صورة ما على أنها صحيحة.

يمكنك قبول عدة صور على أنها صحيحة. يمكنك ربط النقاط بطرق مختلفة. الصورة العلمية الصحيحة هي التي تغطي نطاق البيانات

يتمتع بنطاق كافٍ. إنه متماسك، إنه متسق منطقيًا، ويرتبط ببعضه البعض بطريقة موحدة

يمكنك هذا من مناقشة البيانات بطرق بسيطة بدلاً من التعقيد غير الضروري، وهو مبدأ الاقتصاد في المعلومات. ويمكنك استنتاج أمور منها تُفيد في وضع فرضيات وتجارب لاحقة. وهكذا تسير فلسفته العلمية

أما الشخص الذي دفع فلسفة العلم نحو التيار النسبي فهو رجل يُدعى فيرابند، وهو أقل ميلاً للحديث عن صورة أو صور صحيحة، ويتسم بالصرحة التامة بشأن نسبية المعرفة العلمية برمتها. ويُعدّ هذا الرّفض للواقعية في فلسفة العلم أحد العوامل التي تُغذي ما بعد الحداثة عند ريتشارد رورتي في كتابه الشهير "الفلسفة ومرآة الطبيعة"

كما تتذكرون، فإن المرآة هي الأفكار الذاتية في العقل التي يتحدث عنها جون لوك، أي الأفكار التمثيلية. وما يفعله هو التأكيد على فشل نظرية المعرفة التمثيلية هذه، وعلى النزعة التأسيسية التي ارتبطت بها. ويؤكد على نسبية جميع بنى أفكارنا، ومفاهيمنا المعقدة، ونظرياتنا العلمية، بحيث يرى الفلسفة لا كمصدر للوصول إلى الحقيقة المطلقة حول الأشياء في ذاتها، بل كمجرد حوار ذي قيمة عملية

لكن في الحقيقة، لا توجد إمكانية للترجمة المتبادلة بين مختلف اللغات والبنى. ريتشارد رورتي. حسناً، على النقيض من، دعنا نرى، على النقيض من نيلسون غودمان، نجد عمل هيلاري بوتنام في جامعة هارفارد

هيلاري بوتنام، الذي يُقرّ سريعاً بإمكانية وجود بنى بديلة، وأن النظريات العلمية، بطبيعة الحال، قابلة للمراجعة. بعبارة أخرى، هو يرفض النزعة التأسيسية. لكنه مع ذلك يُصرّ على ضرورة التعامل مع النظريات العلمية بواقعية

ويصرّ على أن مفاهيمنا ليست مجرد طرق تقليدية للكلام. إنه يريد أن يكون واقعياً. فكيف يبرر ذلك؟ يبرره بالقول إن لدينا معرفة راسخة ببعض الملاحظات والكيانات المادية

هناك ملاحظات وكيانات مادية معروفة بشكل قاطع. بعبارة أخرى، هناك بيانات معطاة. ومن ضمن هذه البيانات، يشمل أشياء مثل الإلكترونات، ومجالات القوى، والمقادير المكانية

حسناً؟ هذه هي الأمور التي يلاحظها وقيسها جميع العلماء، بغض النظر عن نظرياتهم. لذا، فإن الأطر التي نبنيها، والهياكل النظرية، قد تكون مؤقتة، لكنها تهدف إلى أن تكون بيانات عن الواقع. هذا هو مفهوم الواقعية المؤقتة عند وايتهد في العلم

يريد بوتنام أن يُؤخذ العلم بواقعية وبشكل مؤقت. والآن، ضمن هذه النقاط المرجعية المعروفة التي يتحدث عنها، لا تقتصر على الإلكترونات ومجالات القوى فحسب، بل تشمل أيضاً أنواعاً طبيعية معينة. أنواعاً طبيعية معينة من الأشياء

بمعنى آخر، هناك تصنيفات موضوعية. التصنيف ليس مجرد تنظيم لغوي لشيء ما، بل هو عبارة عن فئات موضوعية للأشياء

أنواع موضوعية. أنواع، إن شئت. وهناك قوانين عامة نعترف بها، بغض النظر عن اللغة

بهذا المعنى، توجد كيانات منطقية. توجد كائنات منطقية. كائنات فكرية، وليست مجرد بيانات محددة هناك موضوعات فكرية. كليات، إن شئت. جواهر

الأنواع الطبيعية. وهكذا يتضح أن بوتنام واقعي فيما يتعلق بالعلم، ولكنه واقعي أيضاً فيما يتعلق ببعض التصنيفات. بعض المبادئ العامة

بالإضافة إلى الملاحظات المحددة المعترف بها علناً. الأمر لا يتعلق فقط بهيكليتنا. إذن، الواقعية مقابل اللاواقعية

حسناً؟ هذه هي المسألة الثانية. كيف حالك؟ هل أنت مستعد للمسألة الثالثة؟ حسناً، لقد استخدمت مصطلح "العوالم الممكنة". "العوالم الممكنة"

بسبب اعتبارين سبق أن تطرقنا إليهما. أولهما وجود طرق بديلة يمكننا من خلالها، باستخدام لغتنا، تنظيم التجربة. لذا قد توجد عوالم ممكنة بمعنى العوالم التي ننظمها

عوالم أخرى ممكنة غير هذا العالم. ثانيًا، هذا النوع من الأمور التي تنبثق من نظرية الكيانات المنطقية، والتي تُقَرَّ بأن ليس كل الاحتمالات المنطقية تتحقق في هذا العالم الزمكاني. على سبيل المثال، تُقَرَّ نظرية وولترستورف عن الكليات بوجود عوالم أخرى كثيرة ممكنة منطقيًا غير هذا العالم

هناك احتمالات منطقية لم تتحقق بعد. وبهذا المعنى، من بين موضوعات التفكير المنطقية عوالم أخرى ممكنة. أترى؟ لأنه إذا كانت هناك احتمالات موضوعية ومنطقية، فهناك عوالم موضوعية ومنطقية ممكنة أخرى غير هذا العالم قد تحققت

على سبيل المثال، عوالم كان فيها لكل منا ثلاثة أنصاف. أو عوالم كان فيها طفلي الأول فتاة. وهو عالم مختلف تمامًا عن عالمنا هذا

عوالم أخرى ممكنة بانحرافات طفيفة عن هذا، وانحرافات كبيرة عنه، من كل الأنواع. عوالم منطقية ممكنة لذا، فإن حقيقة أن الأشياء يمكن أن تكون على غير ما هي عليه، سواء بحكم لغتنا أو بحكم عالم الاحتمالات المنطقية، قد فتحت باب النقاش حول لغة العوالم الممكنة ووجودها

علم الوجود للعوالم الممكنة. الآن، نيلسون غودمان هو أول من ينتقد هذا الموضوع. ويمكنك أن تتوقع ما سيقوله

قدّمته بالقول إنه يريد منطقيًا بلا وجود. إنه لا يريد كيانات منطقية. إنه يرى أننا نبي عوالمنا بأنفسنا

لذا، بالنسبة لنيلسون غودمان، فإن لغة العوالم الممكنة ليست سوى أداة لفظية، إنها خدعة دلالية. جميع العوالم الممكنة هي ببساطة بنى لغوية، حيث تمثل نقاط المرجعية المحددة أشياء نختبرها جميعًا أو ربما اختبرناها

مثل أن تكون طفلي الأولى فتاة. لذا، بهذا المعنى، فإن عالمًا آخر محتملاً هو مجرد عالم افتراضي. إنه فرضية حول ما كان عليه هذا العالم أو ما قد يكون عليه في المستقبل

إذن، لغة العوالم الممكنة ليست سوى لغة الفرضيات التجريبية لا أكثر. ولذلك فهو مناهض للواقعية فيما يتعلق بالعوالم الممكنة.

من جهة أخرى، نجد الفيلسوف الإنجليزي دي كيه لويس. دي كيه لويس، الذي لا يقتنع بأن لغة العوالم الأخرى الممكنة قابلة للاختزال إلى مجرد عبارات افتراضية حول هذا العالم الواقعي، أو كما يُطلق عليها في النقاش، عبارات مضادة للواقع.

الافتراضات المضادة للواقع. وقد أولت فلسفة اللغة والمنطق الحديثان اهتمامًا كبيرًا لمنطق الافتراضات المضادة للواقع. هل يمكن تفسير العبارات المضادة للواقع بشكل كافٍ على أنها مجرد عبارات افتراضية حول هذا العالم الواقعي؟ هل يمكن تفسيرها ببساطة على أنها فرضيات تجريبية لن يتم تأكيد صحتها تجريبيًا؟ هل يمكن أخذها على هذا النحو؟ أم إذا لم يكن من الممكن اختزالها إلى افتراضات، فعندئذٍ يبدو أننا يجب الاعتراف بوجود كائنات منطقية، وكيانات منطقية من نوع موضوعي نتحدث عنها عندما نتحدث عن الاحتمالات المنطقية التي لم تتحقق.

يمكن جوهر الحجة، بالطبع، في أن العبارات المضادة للواقع لا يمكن اختزالها إلى عبارات افتراضية. ولا يمكن ترجمتها إلى عبارات افتراضية دون باقي. وإذا كان ذلك مستحيلًا، فعليك أن تكون واقعيًا بشأن العوالم الممكنة.

لكن لكي تكون واقعيًا بشأن العوالم الممكنة، عليك أن تكون واقعيًا بشأن الكيانات المنطقية. وهكذا يدور النقاش حول الافتراضات المضادة للواقع، حول ما يُسمى بالهوية العابرة للعوالم. أي، ما إذا سقراط من عالم آخر ممكن، لنفترض أنه لم يكن لديه فيه أنف معقوف، سواء أن سقراط سيظل هو نفسه سقراط.

والسؤال الآن هو: ما الذي يُشكّل شخصية سقراط نفسها؟ هل من جوهر شخصية سقراط أن يكون أنفه معقوفًا؟ وبالطبع سترغب في الإجابة بالنفي، ولكن بقولك هذا فأنت تُقرّ ضمناً بوجوده. إذن، إمكانية ترجمة عالم ممكن من لغة إلى أخرى... حسنًا، هذا النوع من النقاش له دلالات بالغة الأهمية.

تناول ألفين بلينديجر، في كتابه "طبيعة الضرورة"، هذا النوع من القضايا، وجادل بوجود عالم ممكن منطقيًا يوجد فيه الله بالضرورة. ستلاحظ الآن أن بلانتينجا لا يسعى لإثبات وجود الله، بل يسعى لإزالة الاعتراضات على وجوده.

وإذا استطعت أن تثبت وجود عالم ممكن منطقيًا يوجد فيه الله بالضرورة، فقد أزلت أي اعتراض. ومن الممكن منطقيًا أن يكون الله موجودًا. ولذا، فإن سؤاله التالي للمعتز هو: حسنًا، ما هو اعتراضك الآن؟ هذا هو التوجه الذي تُقدّمه فلسفة اللغة، ويمكنك أن ترى كيف فتحت آفاقًا واسعة أمام جميع الأسئلة الميتافيزيقية التقليدية تقريبًا.

تطور مثير للاهتمام. لذا، وكما ذكرت سابقًا، فإن فلسفة الدين والأخلاق، كما نحن اليوم، لا تزالان نابضتين بالحياة، وكذلك الميتافيزيقا. لم أنجح هنا في القضاء عليها، بل في تأجيلها.

أجل، كان أحدهم يسألني. كنت سأسألك عما قاله بلينديجر، كنت تقول إن بلانتينجا قال إن هناك عالمًا ممكنًا منطقيًا يوجد فيه الله بالضرورة. أجل.

إذن، هل يقول إن هناك عالمًا ممكنًا منطقيًا في مكان ما، أم يقول إن العالم الممكن منطقيًا قد يكون العالم الذي نعيش فيه الآن؟ أوه، بالطبع، نعم. أجل. أجل. لكن كما ترى، يختلف الأمر تمامًا بين إثبات أن شيئًا ما... ممكن منطقيًا وبين

أما إثبات أن هذا هو حال الأمور في هذا العالم فهو أمر آخر .صحيح .كما ترى

هل يعتقد أن الله موجود بالضرورة في هذا العالم؟ نعم .نعم، لكن الصعوبة تكمن في الانتقال من القول إلى الضرورة الفعلية .أي من الضروري في لغة ما، أي في لغة عالم ممكن، إلى الضروري في ذاته

كما ترى، يمكنك أن تثبت أنه في بعض اللغات هذا ممكن، بل ضروري، لكن إثبات أن هذا هو العالم ليس بالأمر السهل .تروي؟ أجل، كنتُ أتساءل عن مفهوم الإمكانية الميتافيزيقية .أجل

حسناً، ما هو ممكن ميتافيزيقياً هو ما هو ممكن منطقيًا .هو لا يُقَرّ بهذا التمييز .حسناً، ما هو التمييز الذي يُمكنك إجراؤه؟ القول بأنه ممكن منطقيًا يعني القول بأنه لا يوجد اعتراض

كما ترى، لا يوجد اعتراض منطقي .إنه ممكن منطقيًا .الآن، هل هو ممكن فعلاً؟ لو كنا نتحدث عن زرافة، خيالية بأجنحة فراشة، لقلنا إنه ممكن منطقيًا، لكن هل هو ممكن سببياً فعلاً؟ كما ترى، وستقول، حسناً .أعتقد ذلك في عالم ممكن، إنه ممكن سببياً

لا يمكنك القول إنها ضرورية سببياً في أي عالم ممكن، لأن الأشياء المحدودة ليست ضرورية سببياً .أجل .سيدي؟ كنتُ أتساءل أكثر فيما يتعلق بالله .أقول إن الله إما يمتنع عن الخطيئة أو يحدد سببها

حسناً .هل من الممكن منطقيًا أن يفعل الله ذلك؟ هل يوجد عالم ممكن يمكن أن يرتكب فيه الله الخطيئة؟ صحيح .نعم، وكما ترى، سيقول، الآن يتلخص الأمر في السؤال عما إذا كان الله سيظل إلهاً لو فعل ذلك

لأن الله، بحسب تعريف الأديان التوحيدية، هو الخير المطلق، كما ترى .بعبارة أخرى، يتلخص الأمر في السؤال التالي: هل لله جوهر؟ وهو عنوان بعض المحاضرات التي ألقاها في جامعة ماركيث ونُشرت تحت هذا العنوان: بلانتينغا، هل لله جوهر؟ الآن، إذا كان لله جوهر، فهناك أمور لا يستطيع الله فعلها .لا يمكن أن يكون الله هو الله

لا، لا يمكن أن يكون الله غير إله، كما ترى .لا يمكن أن يكون الله غير إله .إذا كان الكمال في الخير من صميم الله، وإذا كانت الخطيئة نقصاً، فلا يمكن أن يخطئ الله، كما ترى

إذن، نعود إلى مسألة الجوهر .الآن، إذا قلتُ: "بالتأكيد يمكن أن يخطئ الله، لكن ليس لله جوهر"، فماذا تعني؟ أنت تقول إن كلمة "الله" اسمٌ مُطلقٌ اعتباطياً على كيانٍ ما، وفي هذه الحالة، كما ترى، يمكنك ببساطة "أن تُسمي الله" ليس الله "بكل ما يحمله ذلك من دلالاتٍ مفاهيمية، بل اسماً آخر تماماً .فإذا كان اسم "الله مجرد علامة اعتباطية لا تحمل أي مضمون مفاهيمي، ولا أي معنى مقصود، ولا أي دلالة امتدادية، فإذا كانت كلمة "الله" تحمل دلالة امتدادية فقط دون أي معنى مقصود، فحينها يمكنك أن تجعل الله يفعل أي شيء

لكن إذا كان لكلمة "الله" معنى مقصود أيضاً، فلا يمكن حتى لله أن يكون غير إله .هل هناك أشياء لا يستطيع الله فعلها؟ نعم، لا يمكن أن يكون غير إله .الآن، كما تعلم، إذا أردت أن تقول، أوه، هذا إخضاع لله لقوانين المنطق

لا، بل يعني ذلك أن الله كائن، وأن قوانين المنطق هي قوانين الوجود، بل هي في جوهرها قوانين الله، لأنها قوانين الوجود .الله هو الكائن الأسمى، خالق جميع الكائنات الأخرى، لذا فإن قوانين الوجود هي قوانين الله .وبهذا المعنى، فإن لكل كائن جوهرًا ما، جوهر الوجود الذي هو الوجود والعدم

حسناً، يبدو أن الوقت قد نفذ منا مرة أخرى.